إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

يوليو ٢٠١٤

أحبائي،

سلام ونعمة.

أود أن أبدأ هذه الرسالة بسرد قصة قصيرة:

في مصر، منذ سنوات مضت كان هناك شاب، ونتيجة لظروف حياتية غير معروفة، اكتسب سلوكاً جامحاً نوعاً ما. ولما بدأ الغضب المتزايد يجد مكاناً في قلبه ازدادت الرذائل، مثل الإهانة والقسوة والعدوانية، عُمقاً، حتى أنه وصل أخيراً إلى أنه لم يعد يجد مكاناً يناسبه وسط الناس المتحضرين. وعندما طُرِد من عمله أخذت حياته منحنىً عنيفاً للأسوأ. فقرر أن يترك المجتمع بأكمله وانضم إلى مجموعة من المجرمين وصار يحيا في الطرقات. وبنبذ العالم له، تعَّلم هذا الشاب طرق حرفته الجديدة وأخيراً أصبح زعيماً وسط المجرمين.

بالطبع هذا الرجل هو قديسنا المحبوب موسى القوي.

أذكركم بقصته لأن حياة القديس موسى، وكما تعلمون جميعاً، انتهت بطريقة مختلفة تماماً عن بدايتها، وأود لنا جميعاً أن نتأمل مقدار النعمة التي أرشدت هذا القديس العظيم إلى حياة التوبة والفضيلة ومحبته لمرشديه ولإخوته والتي ساعدته على إكمال صراعه الشاق مع ماضيه. نحن نُعجَب بهؤلاء القديسين ونمجدهم يومياً في تسابيحنا، ولكنني كثيراً ما أتساءل كيف كنا سنتصرف إذا ما كان نفس هؤلاء القديسون يعيشون وسطنا اليوم وهم في بداية جهادهم الروحي. هل سنكون مسامحين لهم؟ محبين لهم؟ هل سنقبلهم؟

لقد مضت سنوات قبل أن يستجيب القديس موسى إلى نداء الله ليصلح طرقه ويتب. مما جعل الخطية متأصلة في داخله، يمكننا إذاً أن نستنتج، أنه لابد وأن كانت هناك أوقات يصعب فيها التعامل معه أو حتى الاحتكاك به، ومع ذلك فقد غَيَّرت المحبة غير المؤمن ليصير مسيحياً، المحبة هي التي قادته إلى الرهبنة، المحبة هي التي غَيَّرت من كان لا يبالي بالبشرية إلى من صار يُعرَف بفضائل الوداعة، والاتضاع، وحسن الضيافة.

جدير بالملاحظة هنا أن نذكر أن المحبة، التي أُشير إليها، ليست فقط محبتنا بعضنا لبعض، ولكنها أيضاً محبة الله الكائنة في أنفسنا. فهما غير متنافيين ونحن لا نستطيع أن نَكمُل في المحبة إذا كان لدينا واحدة بدون الأخرى.

والسؤال الآن هو، كيف نعمل على تقوية وتعزيز المحبة باستمرار عندما نُواجه بتحديات يومية تسعى لانتزاعها منا؟ مع أن هذا السؤال يمكن الإجابة عليه بالكثير من الطرق، دعونا أولاً نبحث في الثلاثة الطرق التالية:

يجب علينا، وقبل كل شيء، أن نُذكِّر أنفسنا يومياً أن ***<<الله محبة>>*** (١يو ٤: ٨) وأنه بسبب أننا نتوق للحياة مع الله ولا شيء آخر تركنا العالم لنخدمه هو وحده، إذاً فحياتنا يمكن أن نعَّرفها بهذه الكلمة وحدها – بهذه الفضيلة وحدها – لأنه بدونها تكون غايتنا عديمة الفائدة، وإذا كان الله حاضراً عندما نُظهر محبتنا بعضنا لبعض، إذن مَن نخدم عندما لا نظهرها؟ يا لها من مأساة إذا قلنا: "يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين و باسمك صنعنا قواتٍ كثيرة"(مت ٧: ٢٢) فنسمعه يجيب: "إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم"(مت ٧: ٢٣).

أحبائي،

أنه ليس بالأمر الهيِّن أن نرفض أن نحتمل أوأن نبذل الجهد في أن نحب بعضنا البعض من أجل الله. إن محبة الله في قلوبنا هي التي تعطينا الباعث على حمل أثقال الآخرين (غل ٦: ٢)، وأن نقبل بفرح كل ما يعبر بنا، واضعين ثقتنا في ***"رئيس الإيمان ومُكَمِّلِهِ"*** (عب ١٢: ٢).

ثانياً، علينا أن نكتشف السبب الجذري لمشكلاتنا، لأننا لو حاولنا فقط معالجة القضية المطروحة، فإننا على الأرجح سوف نتعامل مع المشكلة على المستوى السطحي، ولكن عادة ما يكون أصل المشكلة كامناً في أعماق أنفسنا.

ربما على السطح، اضطرب أو أشعر بالضيق من التوبيخ ولكن قد يكون السبب الجذري للمشكلة ليس التوبيخ، ولكن عدم اتضاعي، وهو ما يمنعني من تقبل اللوم. إذا قمت بفحص نفسي بصدق، ربما أتمكن من تحويل لوم ما حدث **"لي"** إلى ما يحدث **"بداخلي"**، وبنعمة الله، أستطيع إحداث تغيير مثمر من خلال التصميم على إصلاح طرقي.

عندما سُئل الأنبا بيمن عما هو معنى "*أن أغضب على أخي بدون سبب*"، قال: ***"إذا اغضبك أخاك، مهما كانت الإساءة فإذا غضبت عليه، فأنت تغضب عليه بلا سبب. حتى ولو قلع عينك اليمنى، وقطع يدك اليمنى، لو غضبت عليه فأنت تغضب عليه بلا سبب. ولكن إذا أراد أن يبعدك عن الله، حينئذ اغضب"*** (بستان الرهبان).

نرى هنا، يا أحبائي، أنه نادراً ما يكون هناك سبب جدير للخلاف والشقاق فيما بيننا، نحن هنا جميعاً من أجل نفس الهدف، وبالتالي ما لن يمنعنا من السعي نحو هدفنا يكون لتنقيتنا لكيما نصل إلى هذا الهدف عينه.

ثالثاً، إذا بدأنا يومنا بتذكير أنفسنا أن ***<<الله محبة>>***، دعونا ننهيه بأن نسأل أنفسنا بأمانة: ماذا كانت أولوياتنا خلال اليوم؟ وإلى أي مدى أنجزنا الأشياء التي أعطيناها الأولوية؟

بعد الإجابة على هذا السؤال، إذا وجدنا فقط قائمة بواجبات قمنا بتأديتها أوممارسات نسكية أتممناها بدون محبة، إذن يا أحبائي فهناك حاجة ماسة لمراجعة هذه القائمة لأنها لن تنفعنا شيئاً (١كو ١٣: ٣)

نحن نعلم أن هناك طرق كثيرة لنشهد للمسيح – وكثير منها يوجد في الحياة التي اخترناها – مع ذلك، ولو وصلنا إلى أعلى درجات الإيمان والفهم وليس لنا محبة، فلا ننتفع شيئاً (١كو ١٣: ٣)، فكر في المجموعة المتنوعة التي اختارها ربنا يسوع المسيح لنشر البشارة المفرحة والوحدة التي لا تُصدق التي جمعتهم سوياً من خلال الروح القدس، إن لم توحدهم المحبة ليكونوا بفكرٍ واحدٍ وفمٍ واحدٍ (رو ١٦: ٨) هل كان سوف يضم الرب إلى الكنيسة يومياً الذين كانوا يخلصون؟ (أع ٢: ٤٧). إذاً كما ترون يا أحبائي هذه هي ثمار عمل المحبة. بناءاً على ذلك، دعونا نبدأ يومنا بفكرة إنه حيثما يكون الله، تكون هناك محبة، ونسأل الله أن يعيننا لنكن أمناء عندما نصلي قائلين: ***"بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة، محتملين بعضكم بعضاً في المحبة، مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل"*** (صلاة باكر-أفسس ٤: ٢، ٣). دعونا أيضاً نكتشف ما يعوقنا عن النمو في المحبة، بتبين السبب الجذري لمشكلاتنا، وأخيراً، دعونا نفحص يومياً ما إذا قضينا يومنا في ممارسة وتنفيذ وصية المحبة، أم أننا كنا منقادين بأهداف أنانية. فليضيء الله قلوبنا وعقولنا بروحه القدوس في كل مرة نكون على وشك كسر وصية المحبة بأفكارنا، أو كلماتنا، أو أفعالنا، لكيما نتعلم أن نُغيِّر طرقنا ونُصَحح أخطاءنا. إن لم نستطع الوصول إلى المحبة الكاملة، دعونا على الأقل نتذكر كلمات مار اسحق السرياني:

"إن لم يكن بإمكانك أن تكن رحوماً، فعلى الأقل تكلم كأنك خاطئ. إن لم تكن صانع سلام، فعلى الأقل لا تكن مثيراً للمشاكل. إن لم يكن بإمكانك أن تكن مجتهداً، فعلى الأقل في فكرك لا تكن كسلاناً، إن لم تكن منتصراً فلا تتعال على المهزوم. إذا لم تستطع أن تغلق فم الرجل الساخر من رفيقه، فعلى الأقل امتنع عن الاشتراك معه في ذلك" (الميامر النسكية)

ابحث عن قوتك وفرحك في الرب وتذكر دائماً بأية فضيلة تُعرف كتلميذ لربنا ومخلصنا يسوع المسيح. (يو ١٣: ١٥).

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.